(الفصل الثاني)

"رحلة إلى المجهول"

في صباح اليوم الباكر، حزمت ناردين حقائبها واستعدت للسفر، وقبل أن تغادر استوقفها والدها قائلًا:

- هل ما زلت مصممة على السفر يا ناردين؟ ألن تتراجعي من أجلي يا بنيتي؟ فأنا في شدة الخوف والقلق عليكِ.

أجابته مبتسمة:

-لا تخف يا أبي، أنا بحاجة إلى هذه التجربة، أرجوك لا تحاول التأثير فيَّ؛ فأنا أريد أن أبدأ حياة جديدة بمكان جديد بعد ما عانيته في السنوات الأخيرة.

فتنهد الأب، وقد علم بأن ناردين قد اتخذت قرارها ولن تتراجع مهما حاول منعها، فنظر إليها بحزن قائلًا:

- حسنًا يا بنيتي، اذهبي، ولكن عديني بأنكِ سوف تحافظين على نفسك وتهتمين بصحتكِ، وبأنكِ سوف تتصلين بي يوميًا؛ حتى يطمئن قلبي.

ثم عانقها وأخذ يقبلها مودعًا، ابتسمت ناردين، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، ثم ردت قائلة:

- حسنًا يا أبي، أعدك بأنني سوف أكون أفضل، لا تقلق، هيا استودعك الله، ثم استقلت سيارتها وغادرت متجهة إلى الواحات.

***

في اليوم ذاته، حمل نور الدين حقائبه وقد ودعته أمه بالدموع وبالدعاء له، وأصر والده على أن يوصله حتى موقف السيارات؛ ليستقل من هناك سيارة الرحلات إلى الواحات.

وفي الطريق دار هذا الحوار بين نور الدين ووالده، الوالد وقد امتلأت عيناه بالدموع، نظر إلى ابنه قائلًا:

- والله يا بني، إنه ليصعب علينا وعليَّ بشكل خاص فراقك هكذا، ألا يمكن أن تتراجع عن هذا السفر؟

فنظر إليه نور الدين بنظرة استسلام قائلًا:

-يا أبي، لم يعد أمامي حلًا آخر سوى السفر، فأنت تعلم بأنه يصعب عليَّ أنا الآخر فراقكم، لكنى مجبر، فأنا أريد أن أبني حياتي، أريد أن أحقق حلمي، أريد أن أبدأ حياتي من جديد في مكان جديد، بعيدًا عن كل حزن وألم عايشته، وبعد أن أبني مزرعتي التي أحلم بها سوف أرسل إليكم لتأتون إليَّ ونعيش جميعًا فيها.

فابتسم الأب ابتسامة يائسة؛ فلقد علم بأن ابنه محقًّا فيما يقول ثم قال:

- حسنًا يا بني، وفقك الله وسدد خطاك، ولكن لا تدعنا بدون خبر عنك، اتفقنا؟

- حسنًا، اتفقنا يا والدي لا تقلق.

وصل نور الدين إلى سيارة الرحلات، فاستقلها وجلس في الكرسي المخصص له بجوار نافذة السيارة، لوح لأبيه من النافذة مودعًا إياه بابتسامة حزينة، وعيون دامعة، وانطلقت السيارة في طريقها إلى الواحات.

وفي الطريق...

كانت ناردين تقود سيارتها، وهي متجهة إلى مكان مجهول، ومصير مجهول، فدارت بمخيلتها كل لحظة عاشتها، منذ أن ولدت وحتى هذه اللحظة التي تقود فيها سيارتها، فاسترجعت كل ذكرياتها؛ فوجدتها كلها أليمة بائسة لا تستحق الحزن عليها والعودة من أجلها؛ فواصلت طريقها في إصرار، محدثة نفسها:

- مهما كان الذي ينتظرني هناك، فأبدًا لن أتراجع، سوف أثبت نفسي، وأحقق حلمي مهما كانت الصعوبات، حسنًا يا ناردين لا شيء يدعو للخوف أو القلق.

ثم رفعت صوت مسجل السيارة على صوت فيروز، وهي تغني (زرونى كل سنة مرة) فضحكت قائلةً:

- بشرة خير.

وواصلت طريقها.

في سيارة الرحلات، قعد نور الدين بجوار النافذة وشرد بتفكيره بعيدًا؛ فلقد تذكر أيامه الماضية وطموحاته التي تحطمت، وأحلامه التي اغتيلت، لم يكن يخاف من المجهول الذي يسير إليه، فمهما كان الذى ينتظره هناك، بالتأكيد سوف يكون أفضل مما هو عليه الآن، هذا ما حدث به نفسه، ثم أسند رأسه على النافذة، وابتسم واغمض عيناه؛ ليحلم بما ينتظره من أول خطوة فى تحقيق حلمه، ثم راح في نوم عميق، وانطلقت السيارة في طريقها.

بعد عدة ساعات استيقظ نور الدين فزعًا على صوت اصطدام رهيب، هبط الجميع من سيارة الرحلات في انزعاج شديد؛ ليشاهدون ما الذي حدث.